SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 1 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I1.1522

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

مجنون ليلى في نص الديلميّ: بين تعدد الوجود وتماهي الهويّة

نوارة محمد عقيلة

قسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة سبها، ليبيا

الملخص

لم تعد السرديات أسيرة النظرة البنيويّة التقليديّة منذ نهايات القرن العشرين، فالمنعطفات الجديدة في الحقول المعرفيّة من حولها دفعتها إلى اسقاط الجدار الفاصل بين النص وسياقاته. ومن هذه المنعطفات المنعطف اللساني. فبعد أن انفتح الدرس اللساني على السياق وتجلى حضور الذات في النص وتم ربطها بالمقام، لم يجد منظرو السرد بداً من الانعطاف إلى هذا الانفتاح والتأثر به. غير أنَّ هذا المنعطف جعل السرديات موجهة إلى الخطاب أكثر من الحكاية، والسرد لا يستقيم إلّا بهما. لهذا وجد منظرو السرد في تطورات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ما يكمل هذا النقص وأصبح السرد ينظر إليه باعتباره تمثيلا لتجربة إنسانيّة فرديّة تختزن تجارب الفرد الخاصة وتجارب مجتمعاته. وبناء على ذلك فإنَّ هذه البحث يسعى إلى مقاربة إحدى السرود التراثيّة الممثّلة لأهم التجارب الإنسانيّة، وهي السرود العشقيّة؛ فقصص العشاق يلتبس فيها الشفهي مع الكتابي، والهامشي مع المركزي، والذات مع الآخر. وفوق ذلك كله يلتبس فيها التاريخي والأدبي والديني؟ فأية علاقة تقيمها أخبار العشاق مع هذه الخطابات وبالتحديد الخطاب الصوفيّ؟ أية علاقة تقيمها ذات المجنون مع عالم العشق؟ ما الهويّة المكتسبة لمجنون العشق في الخطاب الصوفي؟ سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات متوسلين بمنهج نظرية العوالم الممكنة.

الكلمات المفتاحية:

المجنون
السرد
الصوفيّة
العوالم الممكنة
الهويّة

Majnun Laila in Al-Daylami text: Between the multiplicity of existence and the identification of identity

Nouwara Mohammed Agila

Department of Arabic, Faculty of Arts, Sebha University, Libya

A B S T R A C T

Narratology are no longer captive to the traditional structural view since the end of the twentieth century. New turns in the epistemological fields around them have pushed them to drop The separation wall between text and its contexts, from these turns is the linguistic After the opening of linguistics to the context, the self is presented in the text and linked in situation, the theorists of the narrative did not find it seemed from turning into this openness and being influenced by it. However, this turning point made narratives directed more to discourse than to story, and the narrative is only correct with them. That is why narrative theorists have found in the developments of the humanities and social sciences what complements this deficiency. Looking at the story is no longer limited to events and the extent of change in cases of narrative aid and its stations only. Rather, it is as a representation of an individual human experience that stores the experiences of societies. Accordingly, this research seeks to analyze one of the traditional narratives that represent the most important human experiences, which are the love narratives. The stories of the lovers confuse the verbal with the book, the marginal with the central, and the self with the other. And above all, the historical, literary and religious confusion? What relationship does the news of lovers establish with these discourses, and specifically the Sufi discourse? What relationship does a madman have with the world of love? What is the acquired identity of a madman of love in Sufi discourse? We will try to answer these questions, supplicating the possible-worlds theory approach.

Keywords:

Madman
Narrative
Sufism
Possible worlds
Identity

المقدمة

لم تعد السرديات أسيرة النظرة البنيويّة التقليديّة منذ نهايات القرن العشرين، فالمنعطفات الجديدة في الحقول المعرفيّة من حولها دفعتها إلى

*Corresponding author:
E-mail addresses: nou.mohammed1@sebhau.edu.ly

Article History : Received 13 January 2021 - Received in revised form 20 February 2021 - Accepted 30 June 2021

اسقاط الجدار الفاصل بين النص وسياقاته. لتدخل السرديات مرحلة جديدة وهي سرديات ما بعد البنيويّة. ومن هذه المنعطفات المنعطف اللساني فبعد أن انفتح الدرس اللساني على السياق وتجلى حضور الذات المتلفظة في النص وتمّ ربطها بمقامات تلفظها والنظر في أفعال كلامها، فبعد كل ذلك لم يجد منظرو السرد بداً من الانعطاف إلى هذا الانفتاح والتأثر به. وهذا ليس بغريب، أليس السرد وجهاً من وجوه التعبير اللساني؟ غير أنَّ هذا المنعطف جعل السرديات موجهة تجاه الخطاب أكثر من الحكاية، والسرد لا يستقيم إلّا بهما. لهذا وجد منظرو السرد في تطورات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ما يكمل ذاك النقص. فلم يعد النظر في الحكاية مقتصراً على الأحداث وعلى مدى التغيّر في حالات العون السردي ومقاماته فقط؛ وإنما باعتبارها ناتج تمثيل لتجربة إنسانيّة فرديّة تختزن تجارب المجتمعات. فاستقلال التجارب الفرديّة لا يفصلها عن تجارب الآخرين المشتركة معهم في العالم نفسه. وبهذا يكون للذات حضور على مستوى الخطاب، وعلى مستوى الحكاية. فكيف تعبر الذوات عن تجاربها. وكيف تسكن التجارب خطاباتها. وخاصة السرديّة منها. وبناء على ذلك فإنَّ هذا البحث يسعى إلى مقاربة إحدى السرود التراثيّة الممثّلة لأهم التجارب الإنسانيّة، وهي السرود العشقيّة، تلك السرود التي تثير جملة من القضايا تهتم بها الدراسات الثقافيّة. فقصص العشاق يلتبس فيها الشفهي مع الكتابي، والهامشي مع المركزي، والذات مع الآخر. وفوق ذلك كله يلتبس فيها التاريخي والأدبي والديني؟ فقصص العشاق موجودة في كل هذه الخطابات. فأية علاقة تقيمها أخبار العشاق مع هذه الخطابات وبالتحديد الخطاب الصوفيّ؟ أية علاقة تقيمها ذات المجنون مع عالم العشق؟ ما الهويّة المكتسبة لمجنون العشق في الخطاب الصوفي؟ سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات متوسلين بمنهج نظرية العوالم الممكنة.

- **من هو المجنون؟ ومن هو الديلمي؟**

تعد شخصيّة قيس بن الملوح من أهم الشخصيات الشعريّة التي اهتمت بها كتب التراث؛ فقد تنوعت المصادر التي أشارت إليه؛ فهو حاضر في كتب التاريخ وفي كتب الأدب غير أن هذه المصادر لم تتفق جميعها على اسم محدد بعينه، ولا لقب بذاته؛ فهو قيس بن الملوح (التنوخي، 5، 105) وهو قيس بن معاذ (الذهبي، 5: 215)، وهو الملقب بالبحتري، واشتهر بلقب مجنون ليلى، ومجنون بني عامر (السرّاج، 2: 32). وما يدعو إلى الغرابة أنَّ بعض المصادر قد شكّت في وجود هذه الشخصيّة (ابن كثير،12: 227)، وبعضها الآخر قد نفت وجوده فعلا (الجوزي،6: 102). وهذا يمنحنا شرعيّة سؤال هل مجنون ليلى شخصيّة مرجعيّة في التاريخ أم أنها شخصيّة تخييليّة؟ أم إنها شخصيّة مرجعيّة متلبسة بالتخييل؟

إنَّ حضور شخصيّة قيس في كتب التاريخ تجعلنا ننطلق من كون هذه الشخصيّة مرجعيّة، أم وجودها في كتب الأدب يخوّل لنا افتراض اختلاقها أو تلبسها بالتخييل. ولكن عادة ما نجد شخصيات تاريخيّة في المصادر التاريخيّة تختلف صفاتها عن صفات الكائن البشري الطبيعيّة. فما السبيل إلى الحكم على هذه الشخصيات من جهة مرجعيتها من عدمها؟ نجري هذه الأسئلة على شخصيّة مجنون ليلى الحاضر في كتاب الديلمي.

يعد كتاب عطف الألف المألوف على اللام المعطوف لأبي الحسن علي بن محمد الديلميّ من أهم مصنفات العشق الصوفي في التراث الإسلامي التي ظهرت في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث الهجريّ وبداية الرابع (الديلميّ، 2007: 7). وهو كتاب يتسم بمنهجيّة في البحث على غير ما قد نجد عليه بعض مؤلفات التراث العربيّ؛ فلئن كانت بعض مؤلفات التراث تتسم بالموسوعيّة والاستطرادات فإنَّ كتاب الديلميّ قد جاء مرتبًا أبوابًا وفصولًا، حيث اختصّت الأبواب بموضوع العشق من جهة تعريفه، وأنواعه وأحوال العشاق فيه، أمَّا الفصول فقد كانت مختصّة بالحقول المعرفيّة المتصلة بموضوع العشق من قبيل: الفلسفة وعلم الكلام والصوفيّة والأدب. ولا يقف الديلميّ عند هذه المعارف المجرّدة فقط، وإنَّما يظهر عنده العلم التجريبي كذلك، فقد أشار الديلميّ إلى علاقة كلٍّ من الدماغ والعقل والدم والجسد بالعشق. وهذا دفعه حتمًا إلى استحضار حالات وشواهد من التاريخ للاستدلال على تلك المعانيّ والأحوال، وكانت أخبار العشّاق سبيله إلى ذلك؛ فلا يكاد يخلو باب من أبواب مباحث العشق إلّا ويعقبه مجموعة من أشعار العشّاق وأخبارهم من مثل: كثير عزة، وجميل بثينة، ومجنون ليلى، غير أنَّ أخبار المجنون قد حظيت بنصيب وافر من الحضور عن غيرها من أخبار بقية العشاق، وهذا يمنح إمكان استجلاء صورة له. فما الصورة التي يمكن أن تتمثّل في الذهن عن مجنون ليلى الحاضر ذكره في كتاب الديلميّ؟

مجنون ليلى في كتاب الديلميّ:

يأتي ذكر مجنون ليلى في نص الديلميّ على وجهين: الوجه الأول يأتي اسم قيس وهو مسند إليه بعض الأبيات الشعريّة باعتبارها شاهدًا ودليلًا على حالة عشقيّة، أو على مفهوم في العشق، أمَا الوجه الآخر فيأتي مرتبطًا بالأخبار المتعلّقة بقصة عشقه لليلى العامريّة. وبالتأمّل في الحالتين نجد أنَّ المسائل التي تثيرها الشواهد الشعريّة تختلف عن المسائل التي تثيرها الأخبار من جهة **الاسم العلم**. وهذا مدعاة لطرح سؤال صريح وهو: ما علاقة قيس الشخص الموجود في التاريخ بكل من صورة قيس المتشكّلة في أشعاره وصورة قيس التي تشكّلها الأخبار؟ يمكننا القول إنَّه لا مجال إلى ربط علاقة وطيدة بين الذات الغنائيّة في الشعر، والذات الحاضرة في التاريخ. فالذات الحاضرة في الكيان الشعري تشكلها لغة منزاحة عن اللغة المعياريّة. وهي كثيراً ما تصف أحوالا لا يمكن أن تصدق في الواقع بل يجب ألا تصدق، أليس أحسن الشعر أكذبه. ولمّا كان الأمر كذلك فلا مجال أن نثير مسألة المرجع في الشعر. فكل القضايا التي يثبتها الشعر عن قيس تقطع علاقتها من المرجع أي من قيس الكائن في التاريخ. وهذا على خلاف الخبر، فالأصل فيه أن ينقل ما وقع في التاريخ؛ ولهذا فإنَّ كلّ قضاياه خاضعة لسؤال الصدق والكذب ومن تمَّ إثارة قضية المرجع فيه.

وبناء على ما سبق فإنَّ اهتمامنا سيكون بالمجنون الوارد ذكره في الأخبار فقط. فإلى أي مدى يمكن أن يكون قيس التاريخيّ حاضرًا في نص الديلميّ؟ وهل استطاعت أخبار الديلميّ المتعلّقة بقيس إبراز هويّة خاصة به؟ وبما أنَّ الهويّة الفرديّة لا يمكن أن تتشكّل خارج عالم يسكنه هذا الفرد فإلى أي عالم ينتمي قيس الحاضر في النص؟

إنَّ البحث عن المرجعيّ في الأخبار هو إثبات ضمني بأنَّ قضايا تلك الأخبار صادقة ولها مرجع في التاريخ. غير أنَّ هذا المفهوم الكلاسيكيّ لمنطق الصدق والكذب لم يعد ذا بال في الدراسات المنطقيّة الحديثة وذلك بعد أن تزاوج المنطق الجهيّ *(modal logic)* مع نظريّة العوالم الممكنة *(Possible worlds)*. "وهي نظريّة فلسفية المنشأ، ومنطقيّة التطوّر. استعيرت من المجالين المذكورين لإجرائها وتجريبها على النّص الأدبي ولا سيّما النّص السّرديّ. فنظرية العوالم الممكنة تنصّ فلسفيًا على أنَّ هذا العالم الذي نعيش فيه قد كان عالما

من مجموعة عوالم ممكنة أخرى غيره. ثم انتقلت النظريّة إلى الحقل المنطقي وأصبح اسمها علم دلالة العوالم الممكنة وهو تزاوج بين المفهوم الفلسفي للنظريّة والمنطق الصوري، ونتج من هذا التزاوج تعدد في الجهات المرتبطة بالسؤال عن الحقيقة؛ فبعد أن كان الحكم على قضيّة ما من جهة حقيقة وجودها في العالم إمّا قضيّة صادقة أو كاذبة أصبح الحكم عليها يخضع إلى ثلاثة متغيرات جهيّة وهي: ضروريّ وممكن ومستحيل." (عقيلة، 2018: 14) وعليه لن يكون هذا البحث مقارنة بين مجنون يوجد في التاريخ ومجنون توجده اللغة، وإنما مقاربة تنزع إلى إبراز عالم ممكن مجاور إلى عالمنا الفعليّ، يسكنه شخص صفته **المجنون**. وتتجاذبه علاقة موصوليّة *(Accessibility Relation)* مع عالمنا الفعلي بحسب عبارة كربيك (Saul Kripke,1963: 83–9). فما أنطولوجيا هذا العالم؟ وما درجة علاقة الموصوليّة بينه وبين عالمنا الفعليّ؟ وكيف يمكن إدراكها؟ وما القصد الثاوي خلفها؟

لا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات إلّا بتحديد النص القصصيّ الموصل إلى ذلك العالم المنطوي تحت نسيجه.

-الأخبار مشكّلة نصًا قصصيًا:

وردت في كتاب الديلميّ مجموعة من الأخبار عن المجنون. وهي تبدو أوليّاً كأنّها أخبار متفرّقة حول شخصيّة واحدة. ولكن بشيء من التأمل يمكن أن تنتظم هذه الأخبار في تسلسل علائقي ليُبنى بها نص قصصيّ. فيكاد يكون كل خبر من هذه الأخبار معبّرا عن مرحلة من مراحل علاقة المجنون بليلاه؛ فالخبر الأوّل كان يصف بداية العلاقة بين قيس وليلى: **"ومن ذلك ما رُوي أنّ قيس بن الملّوح، وهو المجنون دخل إلى ليلى فرآه بعض فتيان الحي، فأتى أباها فأخبره..."** (الديلميّ، 2007: 126). وكان الخبر الثاني مستظهرًا اختبار حب قيس لليلى من قبل ليلى نفسها فهل هو جاد أم لاٍ؟ **"وأرادت ليلى أن تختبر حب قيس فجمعت الفتيان وأعرضت عنه فبكى قيس حتى أغشي عليه يومًا كاملًا"** (الديلميّ، 2007: 157). ثمّ يأتي ذكر خبرين يبيّنان **حالة الجنون التي وصل إليها قيس بسبب عشقه ليلى**. وتأخذ هذه الأخبار المتعلّقة بحالة الجنون مساحة نصيّة من فضاء النص أكثر من الأخبار السابقة. ويختم الخبر الأخير منها **بوفاة المجنون، وتبيان لكيفيّة موته** (الديلميّ، 2007: 159-160)؛ لذا لا يمكن أن نتجنّى على هذه الأخبار إذ قلنا أنّها تمثّل نصًا قصصيًا في مجملها؛ فمفهوم القصصيّة *(narrativity)* متجلٍ فيما بينها ومتحقق في التسلسل الزمني وتطوّر الأحداث والتحوّل (القاضي: 2010، 254، الخبو: 2016، 16 ,Kindt, 2008:18) . وبما أنّ هذه الأخبار استطاعت أن تنسج نصًا قصصيًا في جملتها فلا شك إذن في أنها قادرة على إظهار عالم قصصيّ. ويكون هذا العالم ناتجا من عمليّة انتقاء *(Selection operation)* مجموعة من الأخبار ومن عمليّة تشكلها *(Formative operation)* في نص قصصيّ موحد (Dolezel, 1998 :113) يظهر حال علاقة قيس بليلاه.

من نسيج النص إلى العالم القصصيّ:

استطاع النص القصصيّ الذي نسجته مجموعة الأخبار أن يُظهر عالما قصصيّا مسندًا إلى شخصيّة المجنون، وتشاركه مجموعة من الشخصيات في عالمه؛ ولهذا يمكن أن نسم عالم قيس من جهة سكانه بأنّه عالم متعدد الأشخاص*(multiperson)* بحسب مصطلح دوليزال (Dolezal, 1998 :32). وبما أنّه كذلك فلا شكّ في أنّ المجنون سيتفاعل مع هذا العالم ومن فيه، وسيؤثر فيهم ويؤثرون فيه، وسيسهمون جميعاً في إبراز حكاية تجمعهم. ولكن ما من حكاية إلّا ولها عالم يسبقها في الوجود. ويكون لهذا العالم خصائصه الأنطولوجيّة وهي الخصائص الظاهرة مع نشأة العالم. والتي ستؤثر قطعا في هويّة سكانه.

لا تلتزم جميع النصوص القصصيّة بإبراز لحظة نشأة عوالمها القصصيّة؛ فهذا لا يحدث إلّا في بعض القصص النوعيّة من مثل قصص الخلق، أو بعض قصص الفضاء؛ ولكن غياب كيفيّة ظهور العالم إلى الوجود لا يقف حاجزا دون التوصّل إلى الطبيعة الأنطولوجيّة للعالم القصصيّ إذ من الممكن استنباطها من القوانين الفيزيائيّة التي تحكم العالم القصصي ومن الطبيعة الأنطولوجيّة لسكانه. والنظر في العالم القصصيّ من هذه الزاوية هو نظر من جهة الصدقيّة *(*Alethic modality*)*؛ إي تحديد كل ما هو ممكن أو ضروري أو مستحيل. ولا يتحقق ذلك إلا بوجود معيار نقيس عليه خصائص العالم القصصي. والمعيار هنا هو عالمنا الفعلي.

بالنظر في طبيعة العالم القصصيّ لقيس نجد أنّه عالم يتّصف بطبيعة انطولوجية على منوال عالمنا الفعليّ، وما يبرر قولنا أمران: فالأمر الأوّل هو إنّ النص يصرّح بأنّه ينقل أخبارًا عن عالمنا الفعليّ. ولهذا فإنّ كل الخصائص الفيزيائيّة لعالمنا الفعليّ تأتي ضمنيّا إلى العالم القصصيّ مالم يظهر ما يبطل ذلك. أمّا الأمر الآخر فيتعلّق بالطبيعة الأنطولوجيّة لقيس ولمن معه في عالمهم القصصيّ. فخصائصهم ليس فيها ما يخالف الطبيعة الأنطولوجيّة لسكان عالمنا الفعلي. ولهذا أي افتراض نضعه للطبيعة الأنطولوجيّة لقيس سيكون افتراضا صادقا. فهو بشر، وإذ هو كذلك فجسده يقوم بكل العمليات البيولوجية، ويطرأ عليه ما يعرض البشر. فهو يضحك، ويبكي ويمكن أن يغشى عليه.

على ذلك يمكننا القول إنّ العالم القصصيّ لقيس يعدّ عالما ممكنا من عالمنا الفعليّ، وذلك لأنّ العالم الفعليّ النصيّ *(Textual actual world)* الذي يسكنه المجنون فعليّا مع باقي الشخصيات (Ryan,1996:11) يحترم القوانين المنطقيّة التي تحكم عالمنا الفعلي وهما قانون عدم التناقض، وقانون الثالث المرفوع. فقيس لم يكن حياً وميتاً في الوقت نفسه، ولم تظهر له صفة بين الحياة والموت. وما يمنح صفة الإمكان لعالم قيس كذلك هو تحقق علاقة الموصولية بين العالمين، وهي متمثّلة أولا في شخص قيس بن الملوح الموجود في التاريخ والموجود في هذا العالم الفعليّ النصيّ ومتمثّلة ثانياً في القوانين الفيزيائيّة التي تحكم عالمه؛ فهي قوانين عالمنا الفعلي ذاتها. وبهذا يمكن وسم العالم الممكن لقيس بأنّه عالم طبيعيّ بحسب مصطلح دوليزال. وتتجلى طبيعته بصورة كبيرة في التجانس الأنطولوجيّ لكائناته. فلا وجود لكائنات غير بشريّة في عالم قيس، ولا كائنات خارقة آتية من خارج العالم (Dolezel, 1998 :115-116). ولكن لا قيمة لتحديد أنطولوجيا العالم القصصيّ إذا لم توصل بحركته؛ فالعالم لا يتحقق معناه ولا يكون عالما إلا إذا تحرّك وتكمن حركته في حركة الشخصيات عبر الزمان والمكان (Ronen, 1994: 96).

إنّ الانتقال من مستوى انطولوجيا العالم إلى مستوى حركته يتبعه تغيّر في تحديد الجهة الضابطة لتحديد العالم القصصيّ؛ فلئن كانت جهة الصدقيّة هي الجهة الوحيدة التي تحدد بها أنطولوجيا العالم فإنّ لحركة العالم القصصيّ جهات متعددة تتعلّق بالعمل القصصيّ الذي يتصل بالشخصيّة اتصالاً مباشراً. وذلك لأنّ تحديد هذه الجهات يكون مستنبطاً من أعمال الشخصيات وأفعالها سواء أكانت منفردة أم مع مجموعة. والضابط فيها هي القوانين التي تحكم العالم القصصيّ سواء التي يفرضها الفرد على نفسه أو

التي تسنها المجموعة أو تكون من سلطة فوقيّة دينيّة أو سياسيّة.

إنَّ المتأمّل في عالم قيس من جهة الحركة لا ينفكّ أنَّ يسمه بأنَّه عالم عشقي، وعادة ما تقوم العوالم العشقيّة على تجاذب بين جهتين وهما جهة الإلزام (*Deontic modality*) وجهة التقييم (*Axiological Modality*). وهما جهتان متداخلتان. ويمكن أن نبين ذلك في عالم قيس من خلال مطلع النص القصصي المتمثل في الخبر الأوّل. "... **من ذلك ما روي أنَّ قيس بن الملوح وهو المجنون دخل على ليلى فرآه بعض فتيان الحي فأتى أباها فأخبره فغضب أبوها وضرب ليلى وأمَّها فجاء المجنون فأخبرته ليلى بما كان فبكى بكاء شديدًا حتى كاد يتلف ورجع من غير أن يدخل إليها...**" (الديلمي: 2007، 126)

فالجهة التي تحكم العالم القصصي هي جهة الإلزام المتمثّلة في المتغيّر الجهيّ *(modal operator)* "الحظر"، فرؤية قيس لليلى والدخول إليها يعد من الأمور المحظورة في عالمهما. ويوازي هذا المتغيّر متغيّر الإلزام؛ فقيس ملزم بالامتثال لهذا القانون الذي يبدو في الظاهر إنَّه من وضع والد ليلى، غير إنَّ إخبار أحد فتيان الحي بأمر قيس ينبئ عنه أنَّ مصدر القانون المرافق للعشق هو تواضع متفق عليه بين سكان حي قيس، أمَّا عقاب الوالد لليلى وأمَّها فهو يظهر الوجه الثاني لهذه الجهة وهي جهة التقييم، فخرق قوانين المجموعة يعدّ أمراً سيئاً يستوجب العقاب.

وتجدر الإشارة هنا إلى إنَّ حركة العالم القصصيّ تولّد عوالم ممكنة تتصل بالعالم، وفي الوقت نفسه صراع الممكن مع الفعلي ينتج منه حركة؛ فالتجاذب بين جهة الإلزام وجهة التقييم في عالم قيس تسبب بروز عالم الرغبة عند قيس منشؤه الصّراع بين العالم الفعليّ النصيّ وعالمه الممكن؛ فما كان يقع فعليًا وهو لقاؤه بليلى يصبح عالما ممكنا تنشئه رغبته في لقائها " ... **فمررت برجل قد نصب شركًا له وهو متعزب فملت إليه فقلت: هل من قرى؟ قال أنا عازب عن الحي، وقد نصبت حبائل، فاصبر قليلا أحش الظباء عليك، فإن وقع فيها شيئا أكلناه جميعا فإني لم أطعم شيئًا منذ ثلاث. فمضى يحش الظباء....**" (الديلمي، 2007: 127). يظهر مع هذا الخبر اتساع في مكونات العالم الفعلي النصيّ، فالظبيّة تظهر مكوناً جديداً لم يظهره الخبر الأوّل، وكذلك الفضاء المكانيّ، فمن الحي إلى أطرافه؛ فهل سيكون لهذين المكونين أثر على الجهة المتعلّقة بحركة العالم؟

يتحرّك العالم القصصيّ من المتغيّر الجهي "المحظور" إلى المتغير الجهيّ " المسموح به". فما يظهره الخبر الثاني أنَّ فعل قيس وصاحبه المتعلّق بصيد الظبية يعد من الأفعال المسموح بها في العالم الفعليّ النصي؛ فهو فعل لا يحظره قانون ولا يوجد قانون يلزم القيام به. ولكن صيد الظبية لا يتم إلا بقصد يسبقه ممّا يدفع كل من قيس وصاحبه إلى القيام به. ويكمن هذا القصد وراء الرغبة في الطعام الذي يتحوّل بدوره إلى رغبة في صيد الظبية. فتخلق هذه الرغبة عالما ممكنًا عند قيس وصاحبه قوامه أن تقع الظبية في الحبالة ليتم أكلها. غير أنَّ ما حدث يخلق توتراً جديدا بين العالم الفعلي النصيّ والعالم الممكن المتعلّق بصيد الظبية. فبمجرّد تحقق العالم الممكن ويصبح فعليا بوقوع الظبية في الحبالة لا يكمل قيس بقيّة تحقق العالم الممكن وهو أكل الظبيّة بل يطلق صراحها ليجعلها عالما ممكنا مجددا. وهنا يكمن التوتر في العالم الفعليّ. إذ فجأة يتحوّل ما هو مسموح به في العالم الفعليّ النصيّ إلى فعل محظور.

لا يعتبر صيد الظبية من الأعمال المحظورة في عالم قيس، فاستغراب رفيقه من فعله دليل على أنَّ جهة الاعتقاد عند كثير عزة تختلف عنها عند قيس. فصيد الظبية من الأفعال المسموح بها بل تكاد تكون من الأفعال الملزم بها. ولا ينبثق هذا الإلزام من سلطة علوية في عالم قيس وإنَّما من سلطة بيولوجيّة وهي تلبية رغبة الأكل ومحاولة البقاء والهروب من الموت. فما منظور الرفيقين في منظور الموت وكيف تتغير جهات الاعتقاد عندهما؟

يتفق كل من قيس ورفيقه كُثير على أنَّ صيد الظبية فعل جيد بل يكاد يكون فعلا إلزاميًا. بيد أنَّ قتلها يتحوّل إلى أمر محظور والإبقاء على حياتها أمر واجب عند قيس، والأمر على غير ذلك عند كُثير. ومردّ هذا الاختلاف عند الرفيقين هو اختلاف إدراكهما للعالم. فالظبية عند قيس تتماهى مع ليلى الإنسان، وبهذا ينزاح فعل القتل من الواجب إلى المحظور " **لا يمكن أن يأكل الحبيب من يشبه حبيبه**" (الديلميّ، 2007: 127). لم ينطبق هذا المحظور الذي سنَّه قيس على هذه الظبية فقط، وإنَّما شمل ظبيتين أخريين، ثمَّ يتسع القانون ليشمل روضة للظبي كاملة "... **فقلت: ألا ترى إلى ذلك الظباء، ترعى ساكنة؟ قال: نعم، أنا أراها منذ أيام بهذا المكان، فلست أعترض لها؛ لأنها في حمى. فقلت: وما ذلك الحمى؟ قال: رأيت ليلى وسط هذه الروضة ترتع وتلعب وتطعم من عشبها و أنوارها، فقلت: ...**

فيا ظبي كل رغدًا هنيئًا ولا تخفْ فإنّي لكم جارُ وإنْ خِفتمُ الدهرا "

(الديلمي، 2007: 129).

فهذا الإدراك المختلف للعالم الفعليّ النصيّ من قبل قيس جعله مجنونا في نظر سكان عالمه "... **لقد سمعت به، و أتيته ونظرت إليه يهيم في تلك البراري والفيافي، ويكون مع الوحوش، لا يعقل ولا يفهم، إلّا أن يذكروا له ليلى، فإذا ذكروها له يبكي وينشد شعره الذي قال فيها**" **(الديلمي، 2007، 220).**

وبهذا بدلًا من أن يتحقق العالم الممكن لقيس والمتمثل في لقاء ليلى ووصلها، يجد نفسه في عالم فعليّ جديد (Lewis, 1978: 39). غير أنَّه لا يستقر في عالم واحد منهما، وإنَّما كان متنقلاً بينهما تنقلاً إدراكيّاً. وكان لهذا التنقل مطيّته؛ فليلى تعيد قيس من عالمه الفعلي الخاص به إلى العالم الفعلي المشترك " **وإذا ما ذكروا له ليلى استفاق ورجع.**" أمَّا الظبية فقد كانت المطية إلى العالم الفعليّ الخاص به فهي السبب في توتر العلاقة بين العالمين؛ فالظبية تحوّلت إلى شيء آخر في إدراك قيس لا يفصح عنه النص؛ فقد أصبح الهدف البارز هو مطلب الظبية دون الرغبة في حوزها ممّا زاد من بعد المسافة بين العالم الفعلي النصي وعالم قيس مؤديًا ذلك إلى ضعف العلاقة الموصوليّة بينهما. وينتهي ذلك التوتر بين العالمين بقطع علاقة الموصوليّة بين العالم الفعليّ النصيّ، والعالم الفعلي للمجنون ينجم عنه عالم فعلي جديد لقيس وهو عالم الموت وكانت الظبية دليله إلى ذلك"... **ثم ظهرت لنا ظبية فوثب في طلبها. فانصرفت. فطلبت نهاري أجمع، فلم أصبه، فرحت فأخبرت أباه، فخرج هو وإخوته فطلبوه، ثلاثة أيام، ثم وجدوه في واد بين أحجار ميتاً. فحمله وكفنوه ودفنوه**" (الديلميّ، 2007: 222).

ومهجة القول: إنَّ مقاربة هذه الأخبار من هذه الزاوية هي مقاربة عينيّة لمسألتي التخييلية والقصصيّة، فإذا كانت التخييليّة ترتبط بأنطولوجيا العالم، فإنَّ القصصيّة ترتبط بحركته. ومثلما لاحظنا أعلاه، يمكن القول إنَّ عالم قيس القصصيّ لم تضعف علاقته الموصوليّة بعالمنا الفعليّ من جهة القوانين الطبيعيّة الضابطة له ويمكن الجزم بأنَّ قيس في عالم النص لا يختلف إطلاقا عن قيس في عالم التاريخ من جهة التكوين الانطولوجي؛ فهو لا يحمل أية صفات خارقة. أمَّا حركة قيس في عالمه فينظر إليها من وجهين: الوجه الأوّل:

كيف تحقق الحركة في العالم خاصيّة القصصيّة للنص؟ وهذا ليس محل نظر عدنا في هذه الورقة. والوجه الآخر كيف تعمل قوانين المنع والحظر والمسموح به الضابطة لحركة العالم على تحديد هويّة قيس؟ وكيف يتفرّد بها عن بقيّة أفراد سكان عالمه؟

- **هويّة قيس في عالمه القصصيّ:**

إنَّ النواة التأسيسيّة لهويّة أي كائن في أي عالم قصصيّ تكمن أوّلا في **الاسم العلم** للكائن أو أي **صفة** أخرى تحيل عليه. وفي عالم قيس القصصيّ كان الاسم العلم **قيس بن الملوح**، والصفة **"المجنون"** النواة التأسيسيّة لبناء هوية قيس. غير أنَّ الصفة **"المجنون"** كانت أكثر ظهورًا من الاسم العلم سواء على مستوى النصّ أو مستوى العالم القصصيّ، وهذا مقنع تماماً إذا تأملنا في الجهة العامة التي تحكم العالم القصصيّ؛ فالأخبار لم تهتم بمولد قيس أو ذكر صفاته الجسديّة؛ فهذه جميعها مدعاة لأن تستحضر **اسم العلم**. والأمر بالمثل إلى علة نسبة ظهور الصفة "المجنون" لإحالة الخطاب عليها؛ فقد كان النص القصصي يظهر تفاعل قيس في العالم القصصي وحركته فيه؛ فلهذا لا غرابة أن نجد **"الصفة"** أكثر ظهورًا في عالم تحكمه الجهات المتعلّقة بحركة العالم.

وبناء على ما سبق فإنَّ غياب نشأة العالم وكيفيته، ومن ثمَّ قلة ظهور الاسم العلم، لابدَّ أن يتبعه غياب الصفات المتعلّقة بأنطولوجيا الشخصيّة (النوع، والجنس، العمر)، غير أنَّ هذه الصفات المفهوميّة (intensional) يمكن استنباطها والاستدلال عليها من خلال الطبيعة الأنطولوجيّة للعالم القصصيّ في كليّته. ومثلما ذكرنا سابقا يمكن القول إنَّ قيسًا (أنسيّ، وذكر، ورجل). ولكن لا تكفي هذه الصفات لكي نجزم أننا أدركنا كائناً بشريّاً في عالم قصصيّ؛ ففي عالم قيس أكثر من كائن يحمل هذه الصفات. وهذا ما يلزمنا إلى البحث عن صفات قيس المكتسبة والتي تعد صفات ما صدقيّة *(Extensional)* يمكن إحالتها إلى الاسم العلم قيس أو الصفة "المجنون"، وأوّل هذه الصفات الصفات المتعلّقة بالأبعاد الجسديّة.

لم يقتصر تأثير قلة بروز جهة الصدقيّة على نسبة ظهور الاسم العلم فقط، وإنَّما على الأبعاد الجسديّة كذلك؛ فالنص لم يظهر أية صفات جسديّة لقيس يمكن من خلالها أن تتمثّل صورة في الأذهان عند القرّاء. وظلت العلامة النصيّة **"المجنون"** خاليّة من أية دلالة لشكل الكائن المحيلة عليه؛ وفي الوقت نفسه لا يمكن أن نستغرب أن تكون الأفعال النفسيّة والعقليّة للشخصيّة أكثر ظهورًا من أبعادها الجسديّة؛ فقيس في عالمه النصيّ كان ذا حزن وشجن وكان كثير البكاء؛ فقد بكى قيس في بداية العلاقة **"... فأخبرته ليلى بما كان، فبكى بكاء شديدًا حتى كاد يتلف..."** (الديلمي: 2007، 126) وفي وسط العلاقة "... **فأنشدت بيتين له كان أنشدنهما قبل... فلمّا سمع الشعر بكى بكاء شديدًا حتى أبكاني"** (الديلمي:2007، 159) وفي آخر العلاقة "... **فلمّا استقرّ، جئت من خلفه فقلت: أنا رسول ليلى. فالتفت إليّ، وقال: ويحك، ما تقول؟ رأيت ليلى؟ قلت: نعم. فانتحب نحيباً حتى ظننت أنَّ كبده قد انصدعت، وما قطرت له دمعة...**" (الديلمي:2007، 221).

لقد ارتبطت العلامة النصية "البكاء" بقيس في مجمل الأخبار، ولا شك في أنَّ هذه العلامة مشحونة بكل معاني الحزن المتصلة بالحالة النفسيّة لقيس؛ فهو لم يظهر في حالة فرح في العالم الفعليّ النصيّ. وظلت سعادته معلّقة في عالمه الممكن الذي يرغبه وهو وصال ليلى دون أن يظهر أية محاولة لتحقيق عالمه الممكن عالم الرغبة، وظل الحزن ملازمه ويشتد عليه حتى أصبح له أثره على صفاته العقليّة والمتمثلة في إدراكه وتفكيره وتجعله يتصرّف بطريقة مختلفة في بعض السياقات المقاميّة المشترك فيها مع سكان عالمه؛ فقيس يتعطل الإدراك عنده ولا يدرك شيئا من عالمه سوى ليلى، أمَّا التفكير المشترك فهو يأخذ موقفاً مختلفاً في العمل المشترك. ويخرق القاعدة النظريّة عند آلان بالمر؛ فالقاعدة العامة عنده تقول إنَّ كل تفكير مشترك لا بد أن يفضي إلى عمل مشترك (Palmer:2004,p220) ولكن نجد قيس على غير ذلك، فقيس يبدأ بتفكير مشترك مع كُثير وهو الاستعداد إلى صيد الظبية ممّا يترتب عليه عمل مشترك وهو صيد الظبية وأكلها. ولكن يفاجئ قيس زميله في إطلاق سراح الظبية مما يجعل قيس متفرّداً عن صاحبه في هذا الفعل المشترك. أدى هذا التفرّد إلى خلق صورة لقيس في ذهن صاحبه كُثير، وفي ذهن عبد الملك بن مروان، ومن معه في المجلس وهي أنَّه مجنون. ولا يمكن تجاهل هذه الصورة التي كوّنها الآخرون في عقولهم عن قيس فهي جزء من هويته. وبهذا يمكن القول إنَّ الصفة الرئيسة التي منحت لقيس في عالمه القصصيّ هي**"المجنون". فما مفهوم الجنون في العالم الفعليّ النصيّ لقيس؟ وكيف تشكّلت صفة الجنون عند قيس؟**

ربما قبل محاولة الإجابة عن هذا السؤال علينا أن نطرح سؤالاً جوهرياً بمفهوم الجنون ضمن نظرية العوالم الممكنة وهو بما ترتبط حالة الجنون في العالم؟ هل ترتبط بنشأة العالم أم بحركته؟ أي هل هناك جنون أنطولوجيّ أمّ أنَّه سلوك ناتج من فعل الشخصيّة المتصل ضرورة بحركية العالم؟ يمكن القول إنَّ الجنون لا علاقة له بالبعد الأنطولوجيّ للشخصيات. فليس ثمة صفات قارة في طبيعة الشخصيّة يمكن أن نسندها لصفة الجنون بأن يكون لها من الصفات الجسدية مثلا ما يميزها من بقية الشخصيات. وعليه فإنَّ صفة الجنون تتصل بفعل الشخصيّة المؤثر في حركية العالم والمتأثر بها.

ويمكن التعرّف على صفة الجنون للشخصيّة من خلال إثباتات الراوي الموثوق فيه أو من خلال إقرار بعض الشخصيات عنها. أو نستدل عليها من خلال أفعال الشخصيّة ذاتها؛ فإذا ما تأملنا في الأخبار فإننا نجد أنَّ الراوي لا يكاد يفصل بين الاسم العلم "قيس "والصفة "المجنون". أمَّا إقرار الشخصيات فقد كان مرتبطًا بأفعال الشخصيّة. وقد جاءت متدرجة داخل العالم الفعلي النصيّ ومتنوعة. فأوّل فعل يظهر للمجنون متمثل في فعل العبث بالتراب " **فلمّا رآني كذلك استقر مكانه يعبث بالتراب"**، فإلى أية جهة ينتمي هذا الفعل؟ وما المتغير الجهيّ الذي يمكن أن نحكم به عليه؟ ما علاقة العبث بالتراب بصفة الجنون؟ لا يظهر في العالم القصصيّ أي قانون واضح يمنع العبث بالتراب ولكن استهجان إحدى الشخصيات لفعل قيس يوحي بأنَّ هناك قانونًا عرفيًا في العالم الفعليّ النصيّ وهم أنَّ العبث بالتراب لا يكون لقيس أو لمن يشبه، وهذا ما جعل إحدى الشخصيات ترى أن فعل قيس فعلاً سيئًا. وهو يبدو فعلاً غير مستحب عند سكان عالمه أو مجتمعه وإن كان هذا الفعل متعلّقًا بالشخصيّة وعالمها ولا أثر له في بقية الشخصيات.

أمَّا الحالة الثانية المحققة لصفة **الجنون** لقيس فتتمثل في الخبر **"وقيل جاءه أخ من إخوانه بعد أن توسوس فلمّا بصر به أهوى إليه بحجر. قال فجلست إليه غير مستوحش ولا هائب..."**. وهي على غير الحالة السابقة؛ فإذا كان فعل (العبث بالتراب) متعلّقاً بالشخصيّة ذاتها أي شخصيّة قيس فإنَّ (رمي الحجر) مرتبط بقيس وإحدى شخصيات عالمه. فمن أية جهة يمكن الحكم على فعل رمي الحجر؟ لا يمكن ضبط فعل رمي الحجر ضمن متغير جهي واحد في كل العوالم القصصيّة؟ فقد يكون فعل ملزم القيام به مثلما

الحال في بعض القصص الدينيّة، وقد يكون فعل مباح عندما يكون مسكوت عنه، وقد يكون فعل محظور مثلما الحال في عالم قيس بسبب ما يلحق الشخصية الأخرى من أذى، وهو فعل سيئ إذا ما نظرنا إليه من جهة القيمة.

أمّا الحالة الثالثة المحققة لصفة الجنون فهي متمثلة في الخبر" **قيل: وجاء إليه نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي فرآه عريانا يلعب بالتراب، فقال لغلامه: هات ثوبًا فاطرحه عليه، هذا قيس بن الملوّح قد جنَّ من الحب، ما يلبس، والله، ثوبًا. قال: فكلّمه فأجابه بغير جوابه**" يتعلق فعل العراء بمجموع سكان عالم قيس النصيّ. وهو فعل ينبذه مجتمع قيس ويعد من الأفعال المحظورة اجتماعياً والمستهجنة قيميًا. ويعدّ هذا الفعل أشد الأفعال قرباً إلى حالة الجنون من بقية الأفعال السابقة. وهو الفعل الذي نقل قيس من حالة الوسوسة في فعل التراب ورمي الحجر إلى حالة الجنون الذي صرحت بها الشخصيات "**قد جنَّ من الحب**".

إذا ما تأملنا في هذه الأفعال جملة فإنّنا نجد قيسًا في حالة انسلاخ تدريجي من القوانين الضابطة لعالمه القصصيّ من اللعب بالتراب إلى رمي الحجر إلى العراء. ومن تمَّ الانسلاخ من العالم الفعلي النصيّ بعد أن تعطّل التواصل اللغوي مع سكان عالمه "**فكلمه فأجابه بغير جوابه**". فما السبب الذي جعل جواب قيس على غير ما انتظره منه سائله؟

لا شكَّ إنَّه الإدراك المختلف للعالم الفعلي النصيّ. الذي ترتب عليه أنَّ ذات قيس أصبحت لها وجود منفصل عن الوجود المشترك بينها وبين بقية الشخصيات، وأصبح لها عالم فعلي خاص بها تحقق فيه فعليتها (Actualtiy) "**يعيش في البراري مع الوحوش...**".

- قيس من العالم الفعليّ النصيّ إلى عالم الجنون والخروج نهائيًا من العالم:

إنَّ ذلك الترتيب في ظهور ملامح الجنون على قيس جعلته متجاذبا بين العالم الفعليّ المشترك بينه وبين بقية الشخصيات وبين عالمه الفعلي الذي يدركه بذاته دون غيره. وقد كانت ليلى أداة الجذب بين العالمين" **فقال إذا أردت أن يعقل ويجيبك بكلام صحيح فاذكر له ليلى**". فكيف كانت علاقته بليلى مسهمة في انسلاخ قيس من عالمه الفعلي والانتقال إلى عالم فعلي جديد لا يدركه إلّا هو؟

إذا ما نظرنا في مجموع الأخبار في كليتها فإنّنا نجد الانفصال من العالم الفعليّ النصيّ إلى العالم الفعليّ الجديد لقيس قد أتى متدرجاً على مراحل؛ ففي المرحلة الأولى يتّحد كل من قيس وليلى والظبية في العالم الفعليّ النصيّ إضافة إلى صاحب قيس الذي يتمثّل فيه كل سكان العالم الفعليّ لقيس؛ أمّا المرحلة الثانية فتكون فيها ليلى في حالة تقاطع بين العالم الفعليّ النصيّ والعالم الفعليّ لقيس الذي هو جزء من العالم الفعلي النصيّ العام؛ فسكان العالم الفعلي النصيّ ينظرون إلى ليلى وقيس والظبية باعتبارهم جميعاً من مكونات العالم الفعليّ لهم، وفي الوقت ذاته يرى قيس ليلى والظبية من مكونات عالمه الفعلي مثلما يدركه هو. غير أنَّ ليلى في عالم قيس الخاص لا تنتقل حقيقة وإنما صورة منها يسقطها قيس على الظبية. وبذلك تكون ليلى والظبية متشابهتان. وفي المرحلة الثالثة تظل ليلى في عالمها الفعلي ولا يبقى في دائرة التقاطع سوى الظبية المتماهية مع ليلى. إذا ينتقل الشبه إلى الماهية. فبدلا من طلب ليلى يتحوّل الطلب إلى الظبية. وفي آخر مرحلة تعود الظبية إلى العالم الفعلي النصيّ وينفصل قيس من العالم الفعليّ النصيّ ويصبح له عالم فعلي خاص به وهو الموت.

خلاصة القول في هويّة قيس يمكن أن نجملها في أنَّ نصوص الأخبار الحاضرة في نص الديلميّ لم تعر اهتماماً بالصفات الجسديّة وإنما كان التركيز على أفعال الشخصيّة التي انحصرت بدورها في تجربة واحدة وهي تجربة العشق. وهذا مدعاة لطرح سؤال وهو لماذا اختفت الصفات الجسديّة وعلا صوت التجربة؟

لابد من التذكير هنا أنَّ الديلميّ وهو ينقل أخبار قيس لم ينقلها مباشرة من العالم الفعليّ لقيس التاريخي الذي قد يمكنه من ذكر الصفات الجسديّة لقيس. وإنما نقل أخباراً قد تكون متواترة أو تضمنتها مصادر سبقته، ويمكن أن يكون مردّ غياب الصفات الجسديّة بصورة أدق إلى السياق المقامي الذي كانت تتنزل فيه الأخبار. فالخبر الأوّل الذي أسس بداية النص القصصي كان مرتبطاً بسؤال محدد من عبد الملك بن مروان إلى كثير عزة وهو: "**ما أشد حبك لعزة، فهل رأيت أشد حبًا منك؟ قال: أخبرك، يا أمير المؤمنين... قال فمضى وتركني، فهذا، يا أمير المؤمنين، أعشق عاشق رأيت قط، قال فمن يا ترى؟ قال: المجنون، قيس بن الملوّح" (الديلميّ: 2007، 127-129)** كان من المفترض أن يكون جواب كثير، "قيس بن الملوح أشد حباً مني " أو "المجنون" على اعتبار أنَّه معروف عند عبد الملك. ولكن كثيرا سار في إجابته على غير ما يتوقع، فهو انطلق في جوابه بناء على الصورة التي ارتسمت من وحي سؤال عبد الملك؛ فسؤاله لم يكن عن شخص بعينه بقدر ما كان سؤالًا عن حالة وجدانيّة وهي "العشق"؛ لهذا ربما لم يكن ثمة داع لتحديد صفات قيس.

ولكن إذا اكتفينا بصفة الجنون كهوية لقيس فإنَّه ثمة سؤال يطرح نفسه وهو ما الفرق إذن بين جنون قيس وجنون بقيّة الشعراء. أو ما الفرق بين التجربة العشقيّة لقيس وبقيّة التجارب الأخرى؟ لماذا اختلفت رواية الديلميّ عن بقية الروايات في بعض المصادر الأخرى؟

تجربة قيس من فعل السرد إلى فعل التأويل:

مثلما ذكرنا في بداية المقال فإنَّ هذا الكتاب كتاب أنتجه فعل الكتابة والتأليف؟ ولا شكَّ في أن الديلميّ له مصادره التي استقى منها أخباره؛ فالمجنون حاضر في كتب الأدب والتاريخ، وكتب أخبار العشاق. وقد تلازم كل من ليلى والظبية وقيس في أخبار متعددة. غير إنَّ العلاقة بين هذا الثلاثي المتلازم تتعدد صوره وتختلف من سياق إلى آخر. وهذا يجعلنا نثير مجموعة من التساؤلات حول الحالة التي تظهر عليها علاقة قيس وليلى والظبية؛ فهل كانت هناك أكثر من رواية للحدث الواحد مما يجعل كل مؤلف يختار الرواية التي تناسب سياق مؤلفه؟ أم هل ثمة شيء آخر كان يحدث للرواية الواحدة في كل سياق؟

توحي الأخبار الواردة في كتاب الديلميّ بأنَّ ثمة صوت خفي وراء ترتيبها وتسلسلها. فترتيبنا الوارد في بداية الورقة لم يكن ترتيباً تعسفيّاً فقد ذكرناها بالترتيب المكاني في الفضاء النصيّ الذي حضرت فيه. وهي بذلك توازي الأبواب العامة البانية للنص الأكبر وهو نص ألف المألوف في العشق الإلهيّ؛ فكل خبر كان شاهدا للقاعدة العشقيّة التي يصوغها المؤلف. وهذا يضع الخبر والقاعدة العشقيّة في تجاذب. هل كانت القاعدة مستنبطة من الخبر والخبر شاهدًا لها. أم أنَّ الخبر أخضع لبعض الصناعة وإعادة تحويره ليتناسب مع سياقه؟

للإجابة القطعيّة عن هذه الأسئلة علينا النظر في الخبر في حد ذاته. وما الذي يضبط مرجعيته ويحافظ على إحالته وارتباطه بالعالم الفعليّ حتى لا ينشأ له عالم إحالي جديد؟ إنَّ المعين الرئيس في ربط الخبر بالمرجع هو سند الخبر؛

فالسند هو المعوّل عليه في إظهار العالم الإحالي.

اشتمل نص الديلميّ على ستة أخبار كانت أسانيدها كالآتي:

- ومن ذلك ما روي أنَّ قيس بن الملوح وهو المجنون...
- وروى أبو الحكم المدني قال: حدثني أبي قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وجلست فدخل عليه كثير عزة...
- وقيل لما رأت ليلى قيسا-وهو المجنون-قد أدام زيارتها...
- وقيل جاء أخ من أخوته بعد أن توسوس...
- وقيل: وجاء إليه نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي...
- فكان أمر موتهما أن جماعة رووا، كلهم عن بعض مشايخهم، أنَّه قال...

لا يعير الديلميّ اهتماماً بأسانيد الأخبار في مؤلفه، فلا هي موصولة السند به لتوحي أنها وصلته تواتراً، ولا يذكر من أين أخذ أخباره، أي ما المراجع النصيّة التي أخذ منها؟. وفي كلتا الحالتين لا يمكن أن ننفي أن الديلميّ قد أخذ أخباره من سياق مجتمعه العام؛ فقد أصبح المجنون أحد المعارف المشتركة. ويمكن أن نبين ذلك من الخبر الثالث؛ فعندما أنهى كثير قصته مع عبد الملك بن مروان قال ذلك قيس بن الملوح المجنون؛ فذكر المجنون بأل التعريف التي هنا تعني (أل العهدية) والتي تدل على أنَّ قيسًا يعد مكوناً معرفياً من مكونات المعرفة المشتركة بين كثير وعبد الملك. والأمر بالمثل بين المؤلف والسامع؛ فالمجنون يعد أحد مكونات المعرفة المشتركة لعالم الإحالة الخطابّي؛ أي عالم الديلمي ومجتمعه. وبهذا يمتدّ المجنون في العوالم الإحالية المفتوحة؛ أي من العالم الإحالي النصي إلى عالم الإحالة للرواة في كل زمن إلى عالم الإحالة الخطابي الدائر بين الديلمي ومتلقيه في عصره ومن بعدهم. وهذا التعميم في الذكر بأل العهديّة يخفت من صورة المجنون ويعلي من صورة تجربته. فلا هويّة للمجنون إلّا بالتجارب العشقيّة التي تسرد عنه. ومن هنا تبقى شخصية المجنون في درجة العلامة السيميائيّة ولا ترتقي إلى درجة الفردانيّة؛ فكل التجارب العشقيّة يمكن أن تحيل على العلامة "المجنون"، ويمكن أن تُملأ بكل أسماء العشاق. وبهذا لا يحدث تفرّد للعشاق بقدر ما يحدث تفرّد لهذ التجارب العشقيّة. وتفرّدها ليس فقط بمقارنتها بالتجارب الإنسانيّة الأخرى. وإنما بتفرّدها في كل سياق. فالمجنون يبقى مجنوناً في كل السياقات ولا تنفى عنه صفة الجنون. أمّا تفاصيل التجربة فهي يعاد تشكلها مع كل نص وفي كل سياق. والناظر مثلاً في مجنون الأغاني سيرى تجربته العشقيّة في شكل مختلف.

وما يلاحظ على تجربة العشق في سياق الصوفيّة هو علاقة المجنون بالعالم؛ فالجمال والحب عند الصوفي متجلّ في العالم بأسره (حب ليلة، حب الظبية، حب الروضة بكاملها، الانطلاق في الكون)، وأنَّ الفناء في الحب قمة درجة العرفان عند الصوفيّة (فقيس تاه ومات إثر لحاقه بالظبية وهو يطلبها. إضافة إلى التعبير (فقيس إذا سئل يرد بلغة غير مفهومة).

- **خلاصة القول:**

إن العودة إلى كتب التراث واستجلاء سرودنا التراثيّة يمنح لدرسنا الثقافيّ بصفة عامة والسرديات بصفة خاصة إمكانيّة استجلاء صورة بيّنة للسرد العربي، هذا من جانب ومن جانب آخر إن سرودنا العربيّة بمختلف أجناسها قادرة أن تحاور النظريات السرديّة الحديثة فتعدّل من بعض مفاهيمها، وتضيف شيئاً من خصوصيّة السرد العربي على النظريّة. والفائدة الأعم أنَّ قراءة التراث بعيون معاصرة هو استمرار لتشكّل ثقافتنا؛ فالثقافة ليست بناءً جامداً مصكوكاً وإنما هو فعل دائم مستمر يتحقق من خلال تفاعل ذواتنا عبر الزمن سواء أكان تفاعلاً تزامنيّاً أو تعاقبيّاً.

المصادروالمراجع:

[1]- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تح: عبد الله بن محسن التركي، 2003، البداية والنهاية، الطبعة الثانية، دار هاجر للنشر والتوزيع،

[2]- التنوخي، المحسن بن علي. تح عبود الشا لحي نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، الطبعة الثانية، دار صادر

[3]- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج. تح: محمد عبدالقادر عطاء، 1992، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت.

[4]- الذهبي، (شمس الدين أبو عبدالله) ، تح: عبدالسلام التدمري. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، دار الكتاب العربي، بيروت

[5]- السرّاج، جعفر بن أحمد. مصارع العشاق، دار صادر، بيروت.

المراجع الأجنبية

[6]- Dolezel, 1998 **, *Heterocosmica, fiction and possible,*** Johns Hopkins University Press,

[7]- Herman (David), 2001, *Handbook of Narrative Analysis*. Baltimore: Johns Hopkins, University Press,

[1]- Kindt, Tom / Müller, Hans-Harald 2008, What Is Narratology?

[2]- Lewis(David): 1978, ***Truth in Fiction,*** American Philosophical Quarterly Vol 15, N. 1.

[3]- Palmer (Alan)**,** 2004, ***Fictional Minds*** , by the Board of Regents of the University of Nebraska.

[4]- Ryan (Marie-Laure): 1991, ***Possible Worlds, Artificial Intelligence, and Narrative Theory***, USA, Indiana University Press Bloomington, IN .

[5]- Ryan, Ryan (Marie-Laure), 1991**, *possible worlds and accessibility***, Poetics today, vol. 12, No.3.

[6]- Sainsbury, 2010, **fiction and fictionalism**,

[7]- Saul Kripke, 1963, "**Semantical Considerations on Modal Logic.**" *Acta Philosophica Fennica*.